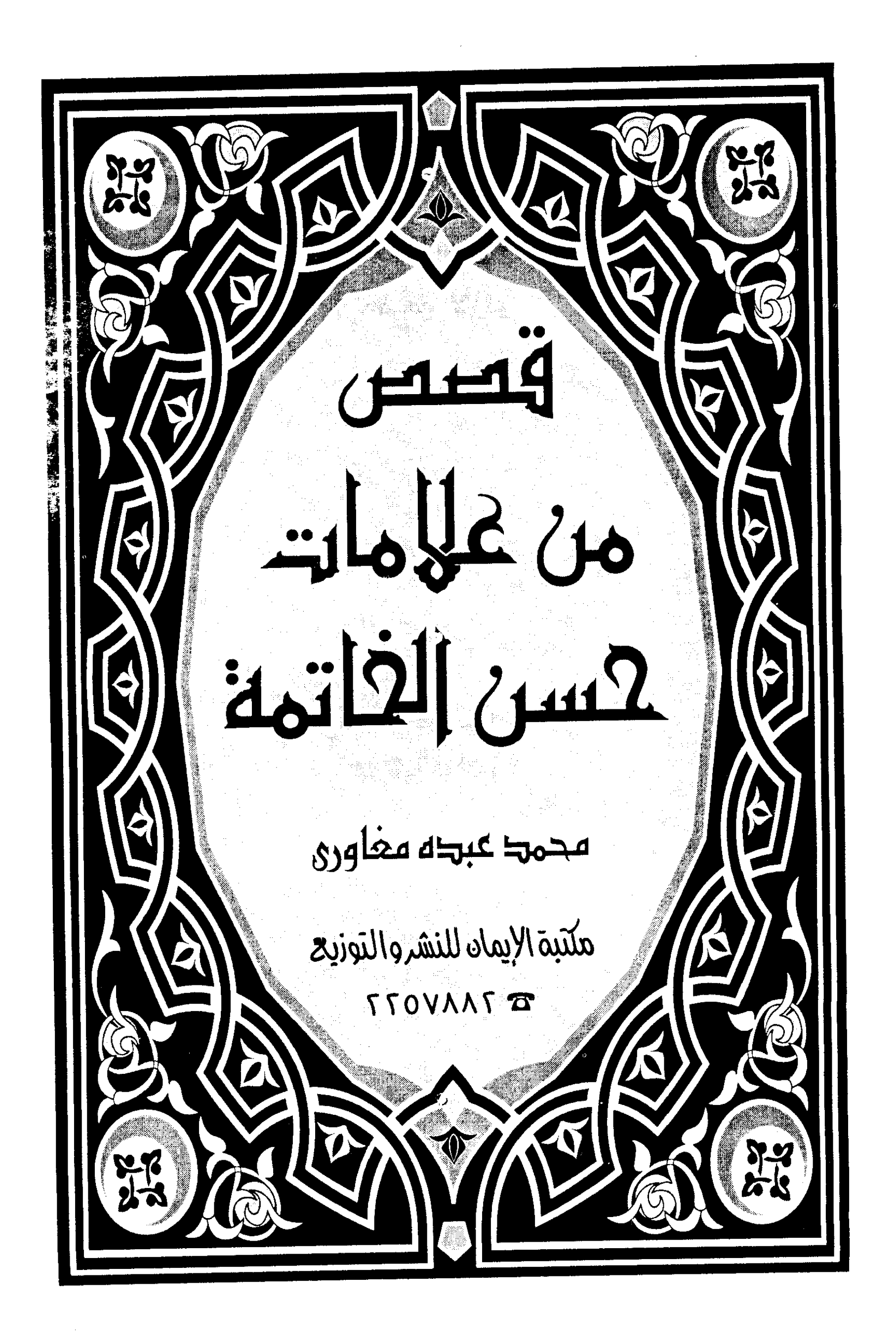
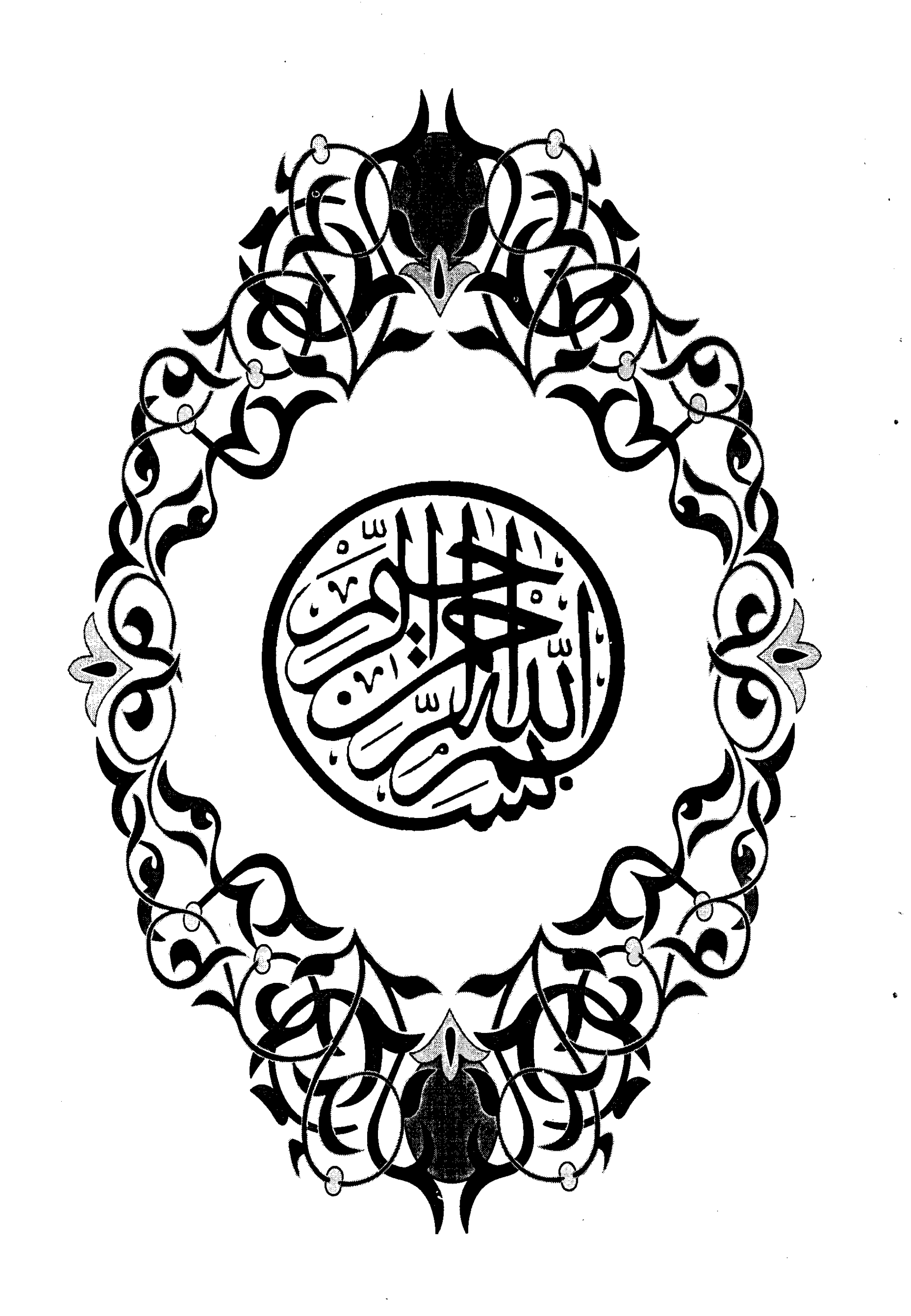

قصص
من علامات
حسن الخاتمة
محمد عبده مغاوري
مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع
☎ ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

مكتبة الإيمان - المنصورة
☎ ٢٢٥٧٨٨٢٢


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمدك اللهم يا صاحب الفضل والإحسان ، يا منعماً يا ذا العطايا أنت الحنان المنان ، وأسألك الرحمة لى وللمسلمين وغفران ما قد كان .

الهى ها أنا العصى خليا — من الإحسان حاوى للمساوى
فلا فعلنى لا قوالى يضاهى — ولا قولى لا فعالى يساوى
كذوباً خائناً لم أوفى عهداً — ولم أصدق بمضمون الدعاوى
فسامح مذنباً وارحم ضعيفاً — وآنس موحشاً فى القبر ثاوى
لقد عودتنى بالستر فضلاً — وعنا أنت للضراء زاوى
لنا معروفك المعروف فضلاً — به العطشان للغفران راوى

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام ، محمد بن عبد الله الرسول العلام ، بلغ الرسالة بالكمال والتمام ، ونصح الأمة بالخير والسلام ، فاشفع لنا يا ابن عبد الله ساعة الوقوف أمام الواحد الديان .

ثم أما بعد :

فقد أنعم علينا الرحمن الرحيم ، بكتابة العديد من كتب القصص المفيد ، التى نأمل بها الخير للعبيد ، ونرجو بها الوصول إلى العزيز الودود ، وها نحن الآن نكمل المسيرة ، فنكتب كتاباً

عن علامات حسن الخاتمة ، والتى سنبينها إن شاء الله من خلال القصص التى سنعرضها ، وأتمنى أن تحقق هذه القصص ثلاثة أشياء :

أولاً : الإنسان عندما يرى من هو أحسن منه حالاً يحاول جاهداً أن يرتقى إليه أو يكون فى مرتبه أحسن منه وهذا ما يسمى (بالغيرة) عند العامة وبعض الخاصة ، وما أجمل هذا الشعور إذا تحول إلى طاعة الله ، ويحصل ذلك عندما نقرأ هذه القصص ونرى أحوال هؤلاء الصالحين فنغار منهم ونحاول أن نسبقهم أو حتى ندركهم عسى أن يرحمنا الله .

ثانياً : تعطير الحديث فالقصص الجميل الذى يكتب ، من السهل جداً حفظه إن شاء الله وعندما نحفظه فلنلقيه فى أى مجلس حتى نعطره ونحاول نشر الفضيلة وحسن القصص .

ثالثاً : جمعت بعض القصص للأخوة الدعاة راجياً من الله عز وجل أن يعملوا بها ويعلموها للناس ، ويحرصوا على تكرارها على آذانهم فلربما تستقر فى قلوبهم فيكون المحصول هو الطاعة والنفع ، لى ولكم وللمسلمين أجمعين اللهم آمين .

والآن يا أحباب وحتى لا أطيل عليكم تعالوا بنا لنقرأ ونحاول الفهم والعمل والإجتهاد فى طاعة الله عسى أن يرحمنا الله اللهم آمين آمين .

المؤلف

محمد عبده مغاورى

علامات حسن الخاتمة

ذكرت كتب السنة المطهرة علامات حسن الخاتمة ، وجاءت الأحاديث التى توضحها وتبينها ومنها حديث بريدة أن النبى ﷺ قال :

﴿ **المؤمن يموت بعرق الجبين** ﴾ .

وذكر العلامة القرطبى فى التذكرة بشأن عرق الجبين أقوال العلماء ، فقال عبد الله : إن المؤمن من يبقى عليه خطايا من خطاياه فيحازق بها عند الموت يجازى فيعرف لذلك جبينه .

وقال بعض العلماء: إنما يعرق جبينه حياء من ربه لما اقترف من مخالفته ، لأن ما سلف قد مات ، وإنما بقيت قوى الحياة وحركتها فيما علا ، والحياء فى العينين وذلك وقت الحياء والكافر من عمى عن هذا كله ، والموحد المعذب فى شغل عن هذا بالعذاب الذى قد حل به .

وإنما العرق يظهر لمن حلت به الرحمة ، فإنه ليس من ولى ولا صديق ولا بر إلا هو مستحى من ربه ، مع البشرى ، والتحف و الكرامات .

وعلامة أخرى الموت على كلمة التوحيد وقد جاء فى شرح كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب حديث أبى ذر الوارد فى الصحيحين مرفوعاً :

﴿ **ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ..** ﴾ .

ولمسلم عن عبادة مرفوعاً ﴿ **من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد**

عبده ورسوله ، حرم الله عليه النار ﴾ .

ومنه حديث أبى هريرة أنهم كانوا مع النبى ﷺ فى غزوة تبوك . . . الحديث ، وفيه فقال رسول الله ﷺ :

﴿ **أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غبر شاك فيحجب عن الجنة** ﴾ رواه مسلم .

ومن ذلك نرى أن الموت على كلمة التوحيد من علامات حسن الخاتمة والموت بعرق الجبين من علامات حسن الخاتمة ، والصبر على الإبتلاء حتى الموت من علامات حسن الخاتمة ، وتعالوا بنا لنقرأ هذا الحديث الآخير تحت هذا العنوان السابق ثم نشرح جزء منه ونمضى بعد ذلك فى سرد القصص إن شاء الله .

حدثنا سعيد بن عمرو الأشعثى ، أخبرنا عبثر عن مطرف ، عن عامر ، عن شريح بن هانئ ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ **من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره لله لقاءه** ﴾

قال : فأتيت عائشة فقلت : يا أم المؤمنين ! سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثاً ، إن كان كذلك فقد هلكنا ، فقالت : إن الهالك من هلك بقول رسول الله ﷺ ،وماذاك ؟!

قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه** ﴾ وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت .

فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ وليس بالذى تذهب إليه ، ولكن إذا شخص البصر ، وحشرج الصدر ، وأقشعر الجلد ، وتشنجت الأصابع ، فعند ذلك من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

ويقول العلامة النووى فى هذا الحديث :

هذا الحديث يفسر آخره أوله ، ويبين المراد بباقى الأحاديث المطلقة من أحب لقاء الله.

ومعنى الحديث : أن الكراهة المعتبرة هى التى تكون عند النزاع فى حالة لا تقبل توبته ولا غيرها فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه ، وما أعدله ، ويكشف له عن ذلك ، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله ، لينتقلوا إى ما أعد لهم ، ويحب الله لقاءهم ، أى فيجزل لهم العطاء والكرامة ، وأهل الشقاوة ويكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ، ويكره الله لقاءهم ، أى يبعدهم عن رحمته وكرامته ، ولا يريد ذلك بهم ، وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم.

وتعالوا بنا لنسرد قصص من علامات حسن الخاتمة ولنبدأ السرد بقصة تفسر لنا هذا الحديث الشريف ، وتجعله جلياً واضحاً.

---

(١) مسلم بشرح النووى : ٨ / ١٤ ، والنسائى : ٤ / ٩

من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه

هذه القصة تشرح وتبين المقصود من قول رسول الله ﷺ

﴿ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ﴾.

يقول العلامة أبو حامد :

قال وهب بن منبة: كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها ، فجاء إبليس فنفخ فى منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً.

قال: إن لى إليك حاجة.

قال: اصبر حتى أنزل.

قال: لا الآن ، فقهره على لجام دابته ، **فقال** : اذكرها.

قال: هو سر ، فأدنى له رأسه فساره **وقال** : أنا ملك الموت.

فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم **قال** : دعنى حتى أرجع إلى أهلى وأقضى حاجتى وأودعهم ، **قال** : لا والله لا ترى

أهلك وثقلك أبداً فقبض روحه فخر كأنه خشبة .

فمضى فلقى عبداً مؤمناً فى تلك الحال فسلم عليه فرد السلام ، **فقال** : إن لى إليك حاجة أذكرها فى أذنك ، **فقال** : هات ، فساره **وقال** : أنا ملك الموت اقضى حاجتك التى خرجت لها .

فقال: مالى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى، **قال**: فاختر على أى حال شئت أن أقبض روحك ، قال : تقدر على ذلك ؟! ، **قال** : نعم إنى أمرت بذلك ، قال : فدعنى حتي أتوضأ وأصلى ثم اقبض روحى وأنا ساجد .

فقبض روحه وهو ساجد .

ومن هذه القصة نرى كيف أن المؤمن الطائع يحب لقاء الله ، ويكون عزيزاً عند الله وكيف أن العاصى الضائع فى الملذات والفتن يكره لقاء الله ، لما هو غارق فيه من الذنوب ، والعاقل من يقرأ فيتعظ ويعمل .

خاتمة عملي الصبح

عن يزيد بن أبي حبيب قال :

لما احتضر ابن أبي سرح وهو بالرملة ، وكان خرج إليها فاراً من الفتنة ، فجعل يقول من الليل : آصبحتم ؟ !

فيقولون : لا .

فلما كان عند الصبح ، قال : يا هشام ، إني لأجد برد الصبح فانظر .

ثم قال : اللهم اجعل خاتمة عملي الصبح .

فتوضأ ، ثم صلى ، فقرأ في الأولى بأم الكتاب والعاديات ، وفي الأخرى بأم القرآن وسورة ، وسلم عن يمينه ، وذهب يسلم عن يساره فقبض رضي الله عنه .

نسمة المؤمن مخلاة

عن سعيد بن سوقة **قال**: دخلنا على سلمان نعوده وهو مبطون.

فقال لامرأته: ما فعلت بالمسك الذى جئنا به من بَلَنجر ؟!

قالت: هو ذا.

قال: ألقيه فى الماء ثم اضربى بعضه ببعض ثم انضحى حول فراشى فإنه الآن يأتينا قوم ليس بأنس ولا جن، ففعلت، وخرجنا عنه ثم أتيناه فوجدناه قد قبض رضي الله عنه.

وعن عبد الله بن سلام: أن سلمان **قال له**: يا أخى أينا مات قبل صاحبه فليترايا له، قال عبد الله بن سلام: أو يكون ذلك ؟!

قال: نعم إن نسمة المؤمن مخلاّة تذهب فى الأرض حيث شاءت ونسمة الكافر فى سجّين فمات سلمان.

قال عبد الله فبينا أنا ذات يوم قائل بنصف النهار على سرير لى فأغفيت إغفاءة إذ جاء سلمان **فقال**: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا أبا عبد الله، كيف وجدت منزلك ؟!

قال: خيراً وعليك بالتوكل فنعم الشئ التوكل، ردّده ثلاث مرات – رحمه الله.

غسيل الملائكة

حنظلة بن أبى عامر الأنصارى هو غسيل الملائكة ، حينما سمع نداء الجهاد أسرع بالتلبية ولم يتقاعص أو يبكى كالنساء ، وآه ... ثم آه من عصر قد امتلأ بـ (...) إلا من رحم ربى .

فاز حنظلة وربح ولنقرأ قصته عسى أن تتحرك فينا المسارعة إلى طرق الخير وعدم التلكأ أو التقاعص عن الخير ، كما يفعل ضعفاء الإيمان .

جاء فى الحلية : أنه التقى هو و أبو سفيان بن حرب يوم أحد ، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود وكان يقال له ابن شعوب – قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله .

فقال رسول الله ﷺ **﴿ إن صاحبكم – يعنى حنظلة – لتغسله الملائكة ، فسألوا أهله ما شأنه فسئلت صاحبته فقالت : خرج وهو جنب (أى أنه نام معها ولكنه لم يغتسل) حين سمع الهاتفة فقال رسول الله ﷺ لذلك غسلته الملائكة ﴾** .



وفاة الخليفة العادل

تعالوا بنا نقرأ ما جاء عن وفاة الخليفة العادل سيدنا عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه ، ولتكن قراءتنا من البداية للنهاية للعلامة ابن كثير حتى نرى مقدار هذا الذى ملأ الأرض عدلاً بعدما ملأت ظلاماً وجوراً.

يقول العلامة ابن كثير :

وفاته رحمه الله سببها أن مولى له سمه فى الطعام أو شراب ، وأعطى مع ذلك ألف دينار ، فحصل له بسبب ذلك مرض ، فأخبر أنه مسموم ، **فقال** : لقد علمت يوم سقيت السم ، ثم استدعى مولاه الذى سقاه ، فقال له : ويحك !! ما جبلك على ما صنعت ؟

فقال: ألف دينار أعطيتها.

فقال: هاتها ، فأحضرها ، فوضعها فى بيت المال.

ثم قال: اذهب حيث لا يراك أحد فتهلك ، ثم قيل لعمر تدارك نفسك ، **فقال** : والله لو أن شفائى أن أمس شحمة أذنى أو أتى بطبيب فأشمه ما فعلت.

فقيل له: هؤلاء بنوك – وكانوا إثنى عشر – ألا توصى لهم بشئ فإنهم فقراء ؟

فقال: ﴿ **إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى**

الصَّالِحِينَ (١٩٦) ﴾ [الأعراف].

والله لا أعطيتهم حق أحد وهم بين رجلين إما صالح فالله يتولى الصالحين ، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه ، وفى رواية فلا أبالى فى أى واد هلك ، وفى رواية أفأدع له ما يستعين به على معصية الله فأكون شريكه فيما يعمل بعد الموت ، ما كنت لأفعل، ثم استدعى بأولاده فودعهم وعزاهم بهذا وأوصاهم بهذا الكلام.

ثم قال : انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلافة عليكم !!

قال : فلقد رأينا أولاد عمر عبد العزيز يحمل على ثمانين فرس فى سبيل الله ، وكان بعض أولاد سليمان عبد الملك – مع كثرة ما ترك من الأموال لهم – يتعاطى ويسأل من أولاد عمر ابن عبد العزيز ، لأن عمر وكل ولده إلى الله عز وجل ، وسليمان وغيره يكلون من أولادهم إلى ما يدعون لهم فيضيعون وتذهب أموالهم فى شهوات أولادهم.

وقال يعقوب بن سفيان: ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب **قال** : قيل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين لو أتيت المدينة ، فإن قضى الله موتاً دفنت فى القبر الرابع مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر.

قال : والله لأن يعذبنى الله بكل عذاب ، إلا النار فإ صبر لى

عليها ، أحب إلى من أن يعلم الله أنى لذلك الموضع أهل .

قالوا : وكان مرضه بدير سمعان من قرى حمص وكانت مدة مرضه عشرين يوماً ولما احتضر قال : أجلسونى فأجلسوه .

فقال : إلهى أنا الذى أمرتنى فقصرت ، ونهيتنى فعصيت ثلاثاً ، ولكن لا إله إلا الله ، ثم رفع رأسه فأخذ ينظر ، فقالوا : إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين !!

فقال : إنى لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جان ، ثم قبض من ساعته.

وفى رواية أنه قال لأهله : أخرجوا عنى ، فخرجوا وجلس عليالباب مسلمة بن عبد الملك وأخته فاطمة ، فسمعوه يقول : مرحباً بهذه الوجوه التى ليست بوجوه إنس ولا جان ثم قرأ

﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** (٨٣) ﴾[القصص]

ثم هدأ الصوت فدخلوا عليه فوجدوه قد أغمض وسوى إلى القبلة وقبض.

وقال المغيرة بن حكيم :

قلت لفاطمة بنت عبد الملك كنت أسمع عمر بن عبد العزيز فى مرضه **يقول** : اللهم أخف عليهم أمرى ولو ساعة !!

قالت : قلت له : ألا أخرج عنك ، فإنك لم تنم !

فخرجت فجعلت أسمعه يقول ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** (٨٣) ﴾[القصص] مراراً ثم أطرف فلبثت طويلاً لا يسمع له حس **فقلت** لوصيف : ويحك !

اظر فلما دخل ، صاح فدخلت فوجدته ميتاً ، قد أقبل بوجهه على القبلة ووضع إحدى يديه على فيه والأخرى على عينيه ، رحمه الله .



قراءة لبعض من نالوا حسن الخاتمة

تعالوا بنا لنقرأ سوياً بعض من صدر منهم علامات تدل على حسن الخاتمة عند موتهم ولا نزكى أحداً على الله.

قال يونس بن محمد :

(مات حماد بن سلمة فى الصلاة فى المسجد)

وقيل :

(إن زكريا بن عدى لما احتضر قال : الله إنى إليك مشتاق)

وقال السراج :

(سمعت خلف بن سالم يقول بعدما قتل ابن نصر ، **وقيل له** : ألا تسمع ما الناس فيه يقولون : إن رأس أحمد بن نصر يقرأ !

فقال : كان رأسى يحى يقرأ ، وقيل رئى فى النوم ، فقيل : ما فعل الله بك ؟

قال : ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله ، فضحك إلىّ ، وقيل أنه **قال** : غضبت له فأباحنى النظر إلى وجهه.

وحكى عن العماد المقدس أنه لما جاءه الموت جعل يقول :

(يا حى يا قيوم ، لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث)

واستقبل القبلة وتشهد فمات رحمة الله عليه.

استعدوا فرحلوا كراما طيبين

إن التاريخ يمتلأ بذكر الزهاد والعباد والصالحين ، والمؤمن الحق من يحاول أن ينهج نهج هؤلاء عسى أن يلحق بهم.

وقد كنت أريد ذكر حسن خاتمة العلامة إبراهيم بن أدهم فقط ، ولكنى لا استطيع فعل ذلك ، فتاريخ الرجل ملئ بالمواعظ والحكم ، وسوف أخطأ إن لم أعرض عليكم بعض منها حتى نتمتع سوياً بما فيها ونرجو من الله أن نقرأها فنعمل بها ونلتمس بها الوصول إلى الواحد الديان.

إبراهيم بن أدهم ، رجل زاهد ، عابد ، ثقة ، مأمون ، كان ابن ملك من ملوك خراسان ، وكان قد حبب إليه الصيد ، **قال** : فخرجت مرة فأثرت ثعلباً ، فهتف بى هاتف من قربوس سرجى (ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت) .

قال : فوقفت وقلت : انتهيت انتهيت ، جاءنى نذير من رب العالمين ، فرجعت إلى أهلى ، فخليت عن فرسى ، وجئت إلى بعض رعاة أبى فأخذت منه جبة وكساء ، ثم ألقيت ثيابى إليه ، ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أياماً لم يصف لى بها الحلال ، فسألت بعض المشايخ عن الحلال ، فأرشد إلى بلاد الشام.

ظل هذا العابد يلتمس العلم ، ويقبل على الله حتى حدث

عنده ما نرجو من الله حدوثه عندنا ، حدث عنده حسن التوكل والإخلاص فى العمل ولا نزكى أحداً على الله .

واعلموا يا أحباب أن الإخلاص فى العمل والتقرب إلى الله بنية خالصة وحسن توكل ، يزرع فى القلب نور لايشعر به إلا من يحيا فيه وسكينه لن يبلغها أبداً إلا من يحيا بالإخلاص وحسن التوكل فى معية الله .

واقرءوا معى القصتين فلربما يتضح لنا شيئاً مما عاش فيه أهل التوكل والإخلاص .

ــ ركب إبراهيم ابن أدهم سفينة فأخذهم الموج من كل مكان فلف إبراهيم رأسه بكسائه واضطجع ، وعج أصحاب السفينة بالضجيج والدعاء وأيقظوه ، **وقالوا** : ألا ترى ما نحن فيه من شدة ؟

فقال إبراهيم بن أدهم: ليس هذه شدة ، وإنما الشدة الحاجة إلى الناس .

ثم قال : اللهم أريتنا قدرتك فأرنا عفوك .

فصار البحر وكأنه قدح زيت .

ــ **وقال حذيفة المرعش** :

أويت أنا وإبراهيم إلى مسجد خراب بالكوفة ، وكان قد مضى علينا أيام لم نأكل فيها شيئاً ، فقال لى : كأنك جائع .

قلت : نعم .

فأخذ رقعة فكتب فيها باسم لله الرحمن الرحيم ، أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى .

أنا حـامـد أنا ذاكـر أنا شـــاكـر   أنا جـائع أنا حـاسـرٌ أنا عـارى
هى ستةٌ وأنا الضمين لنصفها   فكن الضمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك وهج نار خضتها   فأجر عبيدك من دخول النــار

ثم قال لى: أخرج بهذه الرقعة ولا تعلق قلبك بغير الله سبحانه وتعالى ، وادفع هذه الرقعة لأول رجل تلقاه ، فخرجت فإذا رجل على بغلة فدفعتها إليه ، فلما قرأها بكى ودفع إلى ستمائة دينار وانصرف.

فسألت رجلاً: من هذا الذى على البغلة ؟

فقالوا: هو رجل نصرانى ، فجئت إلى إبراهيم فأخبرته فقال : الآن يجئ فيسلم ، فما كان غير قريب حتى جاء فأكب على رأس إبراهيم وأسلم.

أرأيتم يا أحباب مقدار السكينة التى ملأت قلب هذا العابد ، وكيف أنه لا يجزع عند الحوادث والأهوال ، كل ذلك لا يتحقق إلا عندما يمتلأ القلب بنور الإيمان والإخلاص فى العمل لله والتوكل عليه والعيش فى معيته والإقلاع عن الدنيا بالعمل الصالح فيها.
وكان إبراهيم بن أدهم يتمثل قائلاً :

رأيت الذنوب تميت القلوب   ويورثها الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب   وخيرٌ لنفسك عصيانها

وما أفسد الدين إلا ملوك وأحبار سوءٍ ورهبانها

وباعوا النفوس فلم يربحوا ولم يغل بالبيع أثمانها

لقد وقع القوم في جيفة تبين لذى اللب أنتانها

وقال العلامة إبراهيم: إنما يتم الورع بتسوية كل الخلق فى قلبك ، والاشتغال عن عيوبهم بذنبك ، وعليك باللفظ الجميل من قلب ذليل لرب جليل فكر فى ذنبك ، وتب إلى ربك ينبت الورع فى قلبك واقطع الطمع إلا من ربك.

وفاة العابد الزاهد :

بعدما قرأنا ، يا ترى كيف تكون نهاية هذا الذى باع دنياه واشترى آخرته ؟!

ذكروا أنه توفى فى جزيرة من جزائر بحر الروم وهو مرابط ، وأنه ذهب إلى الخلاء ليلة مات نحو عشرين مرة ، وفى كل مرة يجدد الوضوء بعد هذا وكان به البطن (داء البطن وهو مرض من مات به مات شهيد) فلما كانت غشية الموت قال : أوتروا لى قوس ، فأوتروه فقبض عليه فمات وهو قابض عليه يريد الرمى به إلى العدو ، رحمه الله وأكرم مثواه.

أى أنه مات شهيداً بداء البطن مرابطاً مع الجنود مجاهداً فى سبيل الله ، رحم الله هذا الرجل الذى أحسن الاستعداد للموت فأتاه الموت وهو مشمر له فرحاً بلقاء ربه.

الريـــاشـــى

قال على بن أمية :

لما كان من دخول الزنج البصرة ما كان ، وقتلهم بها من قتلوا ، وذلك فى شوال سنة سبع ، بلغنا أنهم دخلوا على الرياش المسجد بأسيافهم ، والرياشى قائم يصلى الضحى فضربوه بالأسياف.

وقالوا: هات المال ، فجعل يقول : أى مال ، أى مال ؟!! حتى مات.

فلما خرجت الزنج عن البصرة ، دخلناها فمررنا ببنى مازن الطحانين ، وهناك كان ينزل الرياش ، فدخلنا مسجده ، فإذا به ملقى وهو مستقبل القبلة كأنما وجه إليها ، وإذا بشمله تحركها الريح وقد تمزقت ، وإذا جميع خلقه صحيح سوى لم يشق له بطن ، ولم يتغير له حال إلا أن جلده قد لصق بعظمه ويبس ، وذلك بعد مقتله بسنتين رحمه الله.



العرق علامة حسن الخاتمة

قال محمد بن أبى حاتم :

سمعت أبا منصور غالب بن جبريل ، وهو الذى نزل عليه أبو عبد الله البخارى **يقول** : إنه أقام عندنا أياماً ، فمرض واشتد به المرض حتى وجه رسولاً إلى مدينة سمرقند فى إخراج محمد ، فلما وافى تهيأ للركوب ، فلبس خفيه ونعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا آخذ بعضده ، ورجل أخذ معى يقوده إلى الدابة ليركبها **فقال رحمه الله** : أرسلونى ، فقد ضعفت فدعا بدعوات ، ثم اضطجع ، فقضى رحمه الله ، فسال منه العرق شئ لا يوصف ، فما سكن العرق إلى أن أدرجناه فى ثيابه وكان فيما قال لنا وأوصى إلينا كفنونى فى ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ، ففعلنا ذلك ، فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك ، فدام ذلك أياماً ، ثم علت سوارىٌ بيضٌ فى السماء مستطيلة بحذاء قبره ، فجعل الناس يختلفون ويتعجبون ، وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون القبر ، حتى ظهر القبر ، ولم نكن نقدر على حفظ القبر بالحراس ، وغلبنا على أنفسنا ، فنصبنا على القبر خشباً مشبكاً لم يكن

أحدٌ يقدر على الوصول إلى القبر فكانوا يرفعون ما حول القبر من التراب ، ولم يكونوا يخلصون إلى القبر ، وأما ريح الطيب فإنه تداوم أياماً كثيرة ، حتى تحدث أهلب البلدة ، تعجبوا من ذلك ، وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته ، وخرج بعض مخالفيه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب .

الموت على كتاب الله

كان من أحد أعلام الصوفية الحق العلامة الجنيد ، أحبه الجميع وكان حريصاً على الطاعة ، مداوماً لذكر الله ، حتى آتته المنية رحمه الله .

قال أبو بكر العطوى :

كنت عند الجنيد لما احتضر ، فختم القرآن ثم إبتدأ سورة البقرة ، فتلا سبعين آية ومات ، رحمه الله .



أغابت الشمس

قال أبو بكر بن زياد :

حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته **فقال** :

أنا عطشان .

فجاءه ابنه بماء .

فقال: أغابت الشمس ؟

قال: لا ، فردّه ، وقال :

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) ﴾

[الصافات] ثم مات ، رحمه الله .

القبض على الشهادة

قال أبو الشيخ صاحب سبر أعلام البلاد :

حكى أبو جعفر الخياط لنا **قال** : حضرت موت عبد الله بن جعفر وكنا جلوساً عنده ، **فقال** : هذا ملك الموت قد جاء ، **وقال بالفارسية** : أقبض روحي كما تقبض روح رجل .

يقول تسعين سنة : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

ثم مات رحمه الله .



علامة حسن الخاتمة عالم المدينة

عالم المدينة هو الإمام مالك ابن أنس ابن مالك ابن عامر **قال عنه الشافعي** : إذا جاء الحديث فهو عيال على مالك ، **وقال أبو مصعب** : سمعت مالكاً يقول : ما أفتيت حتى شهد لى سبعون أنى أهل لذلك.

وكان إذا أراد أن يحدث تنظف وتطيب وسرح لحيته ولبس أحسن ثيابه ، وكان يلبس حسناً ، وكان نقش خاتمه (حسبى الله ونعم الوكيل) ، وكان إذا دخل منزله قال ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وكان منزله مبسوطاً بأنواع المفارش ، ومن وقت خروج محمد ابن عبد الله ابن حسن لزم مالك بيته فلم يكن يأتى أحداً لا لعزاء ولا لهناء ، ولا يخرج لجمعه ولا لجماعة ، **ويقول** : ما كل ما يعلم يقال ، وليس كل أحد يقدر على الإعتذار.

وقد روى الترمذى عن سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن أبى الزبير الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة ، ثم قال : هذا حديث حسن ، وقد روى عن ابن عيينة أنه قال : هو مالك بن أنس.

- ودلالة على حسن خاتمته أنه لما احتضر **قال** : أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم جعل يقول : لله الأمر من قبل ومن بعد.

حتى مات رحمه الله.

لمثل هذا

قال ابن الفضل القطان :

حضرت النقاش وهو يجود بنفسه فى ثالث شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ، فنادى بأعلى صوته :

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) ﴾ [الصافات]

يرددها ثلاثاً ، ثم خرجت نفسه رحمه الله .

شيبة الشيخ

قال بشر ابن المغفلى :

آخر كلمة تكلم بها أبى أن قبض على لحيته ، ورفع يده اليمنى إلى السماء **وقال** : إرحم شيبة شيخ جاءك بتوفيقك على الفطرة .



أمهلـــونـــى

حكى الفقيه نصر : عن شيخه نصر أنه قبل موته بلحظة سمعه وهو **يقول** : يا سيدى أمهلونى !!

أنا مأمور وأنت مأمورون ، ثم سمعت المؤذن بالعصر.

فـقـلت: يا سـيـدى المؤذن يؤذن ! فـقـال : أجلسنى ، فأجلسته ، فأحرم بالصلاة ، ووضع يده على الأخرى وصلى ثم توفى فى ساعته ، رحمه الله.

كيف يضيعني وأنا عبده

جاء فى المواعظ والمجالس لابن الجوزى :

قل عبد الواحد: ركبت البحر فعصفت بنا ريحٌ دفعتنا إلى جزيرة من جزائر البحر ، فاطلعنا عليها ، وإذا نحن برجل قد عكف على صنم له يعبده .

فقلنا له: ما معنا فى المركب من يعمل مثل هذا ، **قال** : فأنتم لمن تعبدون ؟!

قلنا : نعبد الله عز وجل .

قال : ومن هو الله ؟!

قلنا : الذى فى السماء عرشه ، وفى الأرض سلطانه .

قال : فكيف علمتم ذلك ؟!

قلنا : أرسل إلينا رسولاً بالمعجزات الظاهرة فأخبرنا بذلك .

قال : فما فعل برسولكم ؟

قلنا : لما أدى الرسالة قبضه الله إليه .

قال : أفما ترك عندكم علامة ؟

قلنا : ترك فينا كتاب الله سبحانه وتعالى .

قال : أرونى إياه .

فأتيناه بالمصحف ، **قال** : ما أحسن قراءته.

فقرأنا عليه منه شيئاً فبكى ، **وقال** : ينبغى لمن هذا كلامه أن لا يعصى ، فأسلم وحسن إسلامه .

قال : ثم سألنا أن نحمله معنا فى المركب ، فحملناه وعلّمناه سوراً من القرآن ، فلما جنّ عليه الليل وأخذنا مضاجعنا لننام ، **قال** : يا قوم هذا الذى دللتمونى عليه ينام ؟

قلنا : هو حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، فقال : إن من سوء الأدب نوم العبد بين يدى سيده ، ثم وثب قائماً فلم يزل قائماً باكياً حتى أصبح.

شعر :

وحياة سقمى فى هواك وإنه قسم الهوى وحق فيض دموعى
لا وكلّن عليك عينى بالبكاء ولأهجرن لك طيب هجوعى

قال: فلما قدمنا عبادان (مدينة بإيران حالياً) قلت لأصحابى : هذا رجل حديث عهد بالإسلام ، ومن المصلحة أن نجمع له شيئاً ، ففعلوا ومددناه إليه ، **فقال** : ما هذا ؟!

قلنا له: نفقة تنفقها عليك.

فقال: سبحان الله دللتمونى على طريق لم تعرفوه ، أنا كنت فى جزيرة من جزائر البحر أعبد غيره ولم يضيعنى فكيف

يضيعنى وأنا عبده ، وهو الخالق الرازق !!

فلما مضى وتركنا ، قال : فلما كان بعد أيام أخبرت أنه بموضع يعالج سكرات الموت ، فأتيناه وهو باخر رمق ، فسلمت عليه وقلت له : ألك حاجة ؟

فقال لى: قد قضى حاجتى الذى جاء بكم إلى الجزيرة وأنا لا أعرفه ، قال (أى عبد الواحد) : فاستندت بإزائه ، وقصدت مؤانسته ساعة ، وغلبتنى عينى فنمت ، فرأيت فى مقابر عبادان روضة عليها قبة ، وتحت القبة سرير ، وعلى لسرير جارية لم أرى أجمل منها وهى تقول : بالله عجل فى جهازه فقد طال شوقى إليه ، فانتبهت فوجدته قد مات ، فغسلته وكفنته ، فلما كان الليل نمت فرأيته وهو فى هيئة حسنه والجارية على السرير تحت القبة ، وهو على جانبها يكرر هذه الآية ﴿ **سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)** ﴾ [الرعد] .

روح وريحان

قال ابن النجار :

سمعت ابن سكينة **يقول** : كنت حاضراً لما احتضر إسماعيل بن أبى سعد النيسابورى ، فقالت له أمى : يا سيدى ، ما تجد ؟ فما قدر على النطق فكتب على يدها ﴿ **فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ** (٨٩) ﴾ [الواقعة]

ثم مات ، رحمه الله .



السابقون الأولون

يقول العلامة الغزالى :

لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشر جت يوماً وضاق بى الصدر

فكشف عن وجهه وقال : ليس كذا ولكن قولى ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** (١٩) ﴾ [ق] .

انظروا ثوبى هذين فاغسلوهما وكفنونى فيهما فأن الحى إلى الجديد أحوج من الميت وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر رضي الله عنه : ذاك رسول الله ﷺ .

ودخلوا عليه **وقالوا** : ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك ؟

قال : قد نظر إلى طبيبى وقال إنى فعال لما أريد .

ودخل عليه سلمان الفارسى رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر أوصنا .

فقال : إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك ، واعلم أن من صلى الصبح فهو فى ذمة الله فلا تحقرن الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك .

ولما ثقل أبو بكر رضي الله عنه وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر رضي الله عنه **فقال الناس له** : استخلفت علينا فظاً غليظاً فماذا تقول لربك ؟

فقال : أقول استخلفت على خلقك خير خلقك.

ثم أرسل إلى عمر رضي الله عنه فجاء فقال إنى موصيك بوصية اعلم أن لله حق فى النهار لا يقبله فى الليل وأن لله حق فى الليل لا يقبله فى النهار وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل ، وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف.

وأن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فيقول **القائل** : أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء ، فإن لله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذى عملوا فيه **فيقول القائل** : أنا أفضل من هؤلاء ، وإن الله ذكر آية الرحمة واية العذاب ليكون المؤمن راغباً راهباً ولا يلقى بيديه إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فإن حفظت وصيتى هذه فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ولابد منه وإن ضيعت وصيتى فلا

يكون غائب أبغض إليك من الموت ولابد منه ولست بمعجزه.

ثم مات عليه رحمة الله.

بالطبع كانت هذه علامة على حسن الخاتمة فهو رجل ثابت فرح بلقاء ربه ، يوصى من بعده ، ولكن هل يا ترى سيخرج فى أمة محمد من يحاول أن يرتقى ويتبع نهج هذا العلامة ليقترب ولو جزءاً يسيراً فيعمل على أن يكون دعامة لهذا الدين فلا يشغل فكره إلا بالعمل لهذا الدين ، ومحاولة نشره ، وبناء قواعد له ، على هذه الأرض ، ويرفع دائماً راية التوحيد ، فى كل مكان يذهب إليه ويجتهد على ترسيخ العقيدة فى نفسه وأسرته ومن حوله حتى يأخذ ثواب الداعى الناشر لدين الله زو بمعنى أدق حتى يكون خليفة للصديق ، خليفة رسول الله ﷺ .



لقنني الله حجتي

قال أبو شامة :

أخبرني من حضر وفاة فخر الدين بن عساكر ، **قال** : صلى الظهر ، وجعل يسأل عن العصر وتوضأ ثم تشهد وهو جالس ، **وقال** : رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ، لقنني الله حجتي وأقالني عثرتي ورحم غربتي ، **ثم قال** : وعليكم السلام ، **فعلمنا** أنه حضرت الملائكة ثم انقلب ميتاً، رحمه الله.

شهيد المحراب

من علامات حسن الخاتمة الشهادة على يد كافر ، والموت فى سبيل الله خصوصاً إن كنت قد شرعت فى الصلاة ، وتعالوا بنا لنقرأ وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد وجدتها متشابها إلى درجة كبيرة فى إتمام الوفاء والاحياء والفتح ، ولكنى اخترت إتمام الوفاء ، فلنقرأ منه لما فيه من حسن نظم وصف .

يقول الشيخ محمد صاحب إتمام لوفاء :

لم يصب المسلمون فى العصر الأول بمصيبة بعد وفاة الرسول ﷺ أعظم من قتل أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه .

جنى عليه غلام مجوس اسمه (أبو لؤلؤه) كان للمغيرة بن شعبة .

قال عمر بن ميمون : إنى لواقف ما بينى وبينه – عمر – إلا (عبد الله بن عباس) غداة أصيب ، وكان إذا مر بين الصفين قال : استووا حتى إذا لم ير فيهن خللا تقدم فكّبر ، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته **يقول** : (**قتلنى أو أكلنى الكلب**) حين طعنه (**أبو لؤلؤة**) .

فطار العلج (الرجل الشديد من كفار العجم) بسكين ذات

طرفين ، لا يمر على أحد يميناً أو يساراً إلا طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً فمات منهم سبعة ، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرنساً ، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول (عمر) يد (عبد الرحمن بن عوف) فقدمه ، فمن يلى عمر فقد رأى الذى رأيت ، وأما نواحى المسجد فإنهم لا يدرون ، غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون (سبحان الله سبحان الله) فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة.

فلما انصرفوا **قال** : يا ابن عباس انظر من قتلنى ، فجال ساعة ثم جاء.

فقال : غلام المغيرة.

قال : الصّنَعُ ؟

قال : نعم.

فقال : قاتله الله لقد أمرت به معروفاً ، الحمد الله الذى لم يجعل ميتتى بيد رجل يدعى الإسلام ، قد كنت أنت وأبوك تحبان أكثر العلوج بالمدينة ، وكان العباس أكثرهم رقيقاً.

قال : إن شئت فعلت (أى إن شئت قاتلناهم).

قال : كذبت ، بعدما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلتكم وحجو حجتكم.

فاحتمل عمر إلى بيته ، فانطلقا معه ، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ .

فقائل يقول: لا بأس عليه .

وقائل يقول: أخاف عليه .

فأتنى بنبيذ فشربه ، فخرج من جوفه ، ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جوفه ، فعلموا بأنه ميت ، فدخلنا عليه ، وجاد الناس يثنون عليع ، وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤنين بشرى الله ، لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم فى الإسلام ما قد عملت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة .

قال: وددت أن ذلك كفاف لا علىّ ولا لىّ .

فلما أدبر إذا إزاره يمش فى الأرض ، **قال** : ردوا علىّ الغلام فجاء .

قال: يا ابن أخى إرفع ثوبك ، فإنه أبقى لثوبك ، وأتقى لربك .

ثم **قال**: يا عبد الله بن عمر انظر ما علىّ من الدّين .

فحسبوه ، فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه .

قال: إن وفى بذلك مال آل عمر فأده من أموالهم ، وإلا فسل من بنى عدى بن كعب ، فإن لم تف أموالهم فسل من قريش ، ولا تعدهم إلى غيرهم ، فأدِّعنى هذا المال .

ثم **قال**: انطلق إلى عائشة أم المؤمنين ، فقل : يقرأ عليك

عمر السلام ، ولا تقلأمير المؤمنين ، فأنى لست اليوم للمؤمنين أميراً ، وقل : يستأذن عمر ابن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه .

فذهب فسلم واستأذن ، ثم دخل عليها ، فوجدها قاعدة تبكى ، **فقال** : يقرأ عمر ابن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه .

فقالت : كنت أريده لنفسى ، ولأوثرن به اليوم على نفسى .

فلما **أقبل قيل** : هذا عبد الله ابن عمر قد جاد .

فقال : إرفعونى ، فأسنده رجل إليه ، فقال : ما لديك ؟

قال : الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت .

قال : الحمد لله ما كان شئ أهم إى من ذلك فإذا قبضت فاحملونى ، ثم سلم **فقل** : يستأذن عمر بن الخطاب ، فإن أذنت فأدخلونى ، وإن هى ردتنى ردّونى إلى مقابر المسلمين .

وجاءت أم المؤمنين حفصة – بنت عمر– والنساء تسير معها ، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فمكثت عنده ساعة ، واستأذن الرجال فولجت داخلا لهم ، فسمعنا بكائها من الداخل ، **فقالوا** : أوص يا أمير المؤمنين (استخلف) .

فقال : كما فى رواية مسلم :

(أتحمل أمركم حياً وميتاً ، لوددت أنئ أحظى منها الكفاف لا

عليّ ولا إليّ ، وإن استخلف من هو خير منى – يعنى أبا بكر – وإن أترككم فقد ترككم من هو خير منى يعنى رسول الله ﷺ) .

قال عبد الله ابب عمر : فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف .

ثم قال عمر : ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضى .

فسمى عليا وعثمان والزبير وسعدا وطلحا وعبد الرحمن بن عوف .

وقال : يشهدكم عبد الله ابن عمر وليس له من الأمر شئ كهيئة التعزية له ، فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر ، فأنى لم أعزله من عجز ولا خيانة .

وقال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حق ، ويحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم ، وأن يعفى عن مسيئهم ، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم رِدءُ الأسلام ، وجباة المال ، وغيظ العدو ، وألا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم ، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام ، أن يأخذ من حواشى أموالهم وترد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم ،

وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إا طاقتهم .

فلما قبض خرجنا به ، فانطلقنا نمش ، فسلم عبد الله بن عمر ، **وقال** : يستأذن عمر ابن الخطاب .

قالت: أدخلوه .

فأدخل ، فوضع هناك مع صاحبيه ، وهناك قال على رضي الله عنه :

(رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك ، لأنى كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول :

كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر ،فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما .

رحمة الله عليك يا أمير المؤمنين ، يا من نشرت العدل والحب فى أرجاء البلاد فكان لك الفوز والموت بكرامة ، والدفن مع الرسول ﷺ والصديق ، وذا خير غاية .



هكذا يموت الأبطال

ذكر أبو جعفر القرطبى إمام الكلاسة :

إننى انتهيت فى القراءة إلى قوله تعالى ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** (٢٢) ﴾ [الحشر] فسمعت صلاح الدين وهو يقول صحيح.

وكان ذهنه قبل ذلك غائباً ، ثم مات ، وغسله الخطيب الدولعىّ وأخرج فى تابوت ، فصلى عليه القاضى محى الدين أن الزكىّ وأعيد إلى الدار التى فى البستان التى كان متمرضاً فيها ، ودفن فى الصفة ، وارتفعت الأصوات بالبكاء وعظم الضجيج ، حتى أن العاقل ليخيل له أن الدنيا كلها تصيح صوتاً واحداً ، وغشى الناس ما شغلهم عن الصلاة عليه ، وتأسف الناس عليه حتى الفرنج لما كان من صدق وفائه ، ثم بنى ولد الأفضل قبة شمالى الجامع ، ونقله إليها بعد ثلاث سنين ، فجلس هناك للعزاء ثلاثاً.



كم أتوب وكم أعود

يقول يعقوب التائب العابد الكوفي :

قل على ابن الموفق عن منصور ابن عمار : خرجت ذات ليلة وأنا أظن أنى قد أصبحت ، فإذا عليّ ليل ، فجلست إلى باب صغير وإذ شاب يبكي وهو يقول : وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولكن سولت لي نفسي وغلبتني سقوتي وغرني سترك المرخى عليّ فالآن من عذابك من ينقذني ؟

وبحبل من اتصل إن أنت قطعت حبلك عني ؟ واسوأتاه على ما مضى من أيامي في معصية ربي ، يا ويلي كم أتوب وكم أعود ، قد حان لي أن أستحي من ربي عز وجل .

قال منصور فقلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)** ﴾ [التحريم] .

قال : فسمعت صوتا واضطرابا شديدا ، فذهبت لحاجتي ، فلما رجعت مررت بذلك الباب ، فإذا جنازة موضوعة فسألت عنه ، فإذا ذاك الفتى قد مات من هذه الآية .

فرحمة الله على هذا الذاكر غير اللاهي الذى اتاه الموت وهو متشمر لم تلهه الدنيا .

هكذا يموت أهل العلم

اقرأوا معى قصة هذا العالم الجليل (عبد الله بن إدريس) وانظروا جيداً إلى ثباته وتمسكه الشديد بقيمه ومبادئه الإيمانية ثم لنقارن بينه وبين أنفسنا ونحاول بكل جهد أن نرقى إلى هؤلاء النجوم الزاهرة عسى أن نصل إليهم ، وإلى حسن خاتمتهم .

يقول العلامة ابن كثير :

عبد الله بن إدريس الأودى الكوفى ، سمع الأعمش ، وابن جريج ، وشعبة ومالكا ، وخلقا سواهم ، وروى عنه جماعات من الأئمة ، وقد أشد الامتناع وكان قد سأل قلبه وكيعا فامتنع أيضاً ، فطلب حفص بن غياث فقبل ، وأطلق لكل واحد خمسة آلاف عوضاً عن تكلفته التى تكلفها فى السفر ، فلم يقبل وكيع ولا ابن إدريس ، وقبل ذلك حفص ، فحلف ابن إدريس لا يكلمه أبداً ، وحج الرشيد فى بعض السنين فاجتاز بالكوفة ومعه أبو يوسف والأمين والمأمون فأمر الرشيد أن يجتمعا شيوخ الحديث ليسمعوا ولديه فاجتمعوا إلا ابن إدريس هذا ، وعيسى ابن يونس ، فركب الأمين والمأمون بعد فراغهما من سماعهما على من اجتمع من المشايخ إلى ابن إدريس فأسمعهما مائة حديث .

فقال له المأمون : يا عم إن أردت أعدتها من حفظى ، فأذن له فأعادها من حفظه كما سمعه ، فتعجب لحفظه ثم أمر له المأمون بمال فلم يقبل منه شيئاً ، ثم سار إلى عيسى بن يونس فسمعا عليه ، ثم أمر له المأمون بعشرة ألاف فلم يقبلها ، فظن أنه استقلها فأضعفها **فقال** : والله لو ملأت لى المسجد مالا إلى سقفه ما قبلت منه شيئاً على حديث رسول الله ﷺ .

ـ ولما احتضر ابن إدريس بكت ابنته .

فقال: علام تبكين ؟! فقد ختمت فى هذا البيت أربعة ألاف ختمة .



موت الطاهر

يقول العلامة ابن كثير :

أبو بكر بن العياش أحد الأئمة ، سمع أبا إسحاق السبيعى والأعمش ، وهشام ، وهمام بن عروة وجماعة وحدث عنه خلق منهم أحمد بن حنبل ، **وقال يزيد بن هارون :** كان حبراً فاضلاً ، لم يضع جنبه إلى الأرض أربعين سنة .

قالوا : ومكث ستين سنة يختم القرآن فى كل يوم ختمة كاملة وصام ثمانين رمضاناً ، وتوفى وله ست وتسعون سنة .

- ولما احتضر بكى عليه ابنه فقال : يا بنى علام تبكى ؟! والله ما أتى أبوك فاحشة قط .

فرحمة الله على هذا الطاهر الذى لقى ربه وهو لم يفعل فاحشة قط .



رحيل الشيخ كثير الصدقة

يقول أبو حامد فى وفاة سيدنا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

الحديث فى قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام : أتيت أخى عثمان لأسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال : مرحباً يا أخى رأيت رسول الله ﷺ الليلة فى هذه الخوخة وهى خوخة فى البيت ، **فقال** : يا عثمان حصروك !

قلت : نعم ، .

قال : عطشوك ؟!

قلت : نعم .

فأدلى إلىّ دلواً فشربت حتى إنى لأجد برده بين ثديى وبين كتفى ،

وقال : إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا .

فاخترت أن أفطر عنده ، فقتل ذلك اليوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقال عبد الله ابن سلام لمن حضر : تشحط عثمان فى الموت حين جرح ، ماذا قال عثمان وهو يتشحط ؟

قالوا : سمعناه يقول : اللهم اجمع أمة محمد ﷺ ثلاثاً .

قال : والذى نفسى بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبداً ما اجتمعوا إلى يوم القيامة .

وعن ثمامة ابن حزن القشيرى **قال**: شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **فقال**: أئتونى بصاحبيكم اللذين ألباكم على.

قال: فجئ بهما كأنهما جملان أو حماران فأشرف عليهما عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **فقال**: أنشدكم بالله والإسلام **هل تعلمون أن** رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة.

فقال: من يشترى رومة يجعل دلوه مع أدلاء المسلمين بخير **له** منها فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فأنتم اليوم تمنعونى أن أشرب منها ومن ماء البحر ؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أنى جهزت جيش العسرة من مالى ؟

قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق بأهله ، فقال رسول الله ﷺ من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير منها فى الجنة ، فاشتريتها من صلب مالى فأنتم اليوم تمنعونى أن أصلى فيها ركعتين ؟

قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان

على ثبير بمكة ،معه أبو بكر وعمر وأن فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض ، قال : فركضه برجله ، وقال : اسكن ثبير فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان .

قالوا : اللهم نعم.

قال : الله أكبر شهدوا لى ورب الكعبة ، إنى شهيد .

وروى عن شيخ من ضبة أن عثمان حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل **يقول :**

لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين الله إنى استعد بك عليهم واستعينك على جميع أمورى وأسألك الصبر على ما ابتليتنى .



ذكر الله حتى الموت

إن صاحب هذه القصة لن نحكم له بعلامة حسن الخاتمة ، فليس لنا الحق بذلك ، فهو أرقى وأعلى قدراً ، فقد بشره رسول الله ﷺ بالجنة ورجل بشره الرسول ﷺ بالجنة كيف يتسنى لنا الحكم عليه ؟ ولكن نقرأ قصة وفاته حتى نعتبر ونأخذ منها النصح والرشاد ، عسى أن يرحمنا ربنا ، بالسير على نهج هؤلاء العمالقة ، هؤلاء النجوم الزاهرة فى سماء التقوى والإيمان .

يقول العلامة محمد صاحب إتمام الوفاء :

استشهاد أمير المؤمنين على ، وفى السنة الأربعين من الهجرة النبوية أراحه الله من هذا الشقاق المتتابع والخلاف المستعصى ، فضمه إلى إخوانه الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، وسبب ذلك أنه اجتمع ثلاثة من الخوارج ، وتذاكروا ما حل بإخوانهم من الخوارج ، وكرهوا المقام بعدهم ، فاتفقوا على أن يذهب أحدهم ، وهو عبد الرحمن ابن ملجم المردى ، إلى الكوفة ، فيقتل علياً .

ويذهب الثانى وهو البرك ابن عبد الله النميمى إلى الشام فيقتل معاوية .

ويذهب ثالثهم وهو عمرو ابن بكر النميمى إلى مصر فيقتل عمرو بن العاص .

واتّعدوا بينهم ليلة ينفذون فيها ما اتفقوا عليه.

فأما البرك فذهب إلى معاويةواتظره فى صلاة الصبح فضربه بالسيف فوقع فى أليته ولم يمته فأمر به معاوية فقتل.

وأما عمرو ابن بكر فذهب لعمرو ولحسن حظه لم يخرج للصلاة فى ذلك اليوم لمرضه، فكان يصلى بالناس خارجة بن حبيب السهمى، فضربه الخارجى فقتله ظناً منه أنه عمرو، فخاب ظنه وقبض عليه فقتل.

وأما عبد الرحمن ابن ملجم فقصد الكوفة واتظر أمير المؤمنين فى صبح الليلة التى اتعد فيها الخوارج، وهى ليلة الجمعة السبع عشرة خلون من رمضان، فبينما أمير المؤمنين ينادى الصلاة، الصلاة إذ ضربه هذا الشقى بسيفه قائلاً (الحكم لله لا لك يا على ولا لأصحابك).

فقال على: (لا يفوتكم الرجل) فشد الناس عليه، وأخذوه وقدّم "جعدة بن هبيرة" يصلى بالناس الصبح.

ثم **قال** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (النفس بالنفس، إن هلكت فاقتلوه كما قتلنى، وإن بقيت رأيت فيه رأيى، يا بنى عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين، تقولون قد قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن إلا قاتلى، انظر يا حسن إن أنا مت من ضربتى هذه فاضربه

ضربة بضربة ، ولا تمثلن بالرجل ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ **إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور** ﴾ .

ودخل جندب بن عبد الله **فقال**: يا أمير المؤمنين إن فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن ؟

فقال: ما آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر .

ثم دعا الحسن والحسين **فقال** لهما: أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شئ زوى عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعينا الضائع ، واصنعا للآخرة ، وكونا للظالمين خصيما ، وللمظلوم ناصرا ، واعملا بما فى كتاب الله ، ولا تأخذكما فى الله لومة لائم .

ثم نظر إلى محمد الأكبر بن الحنفية **فقال** له: هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟

قال: نعم .

قال: فإنى أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك ، وتزين أمرهما ولا تقطع أمراً دونهما .

ثم **قال للحسن والحسين**: أوصيكما به ، فإن شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه .

وقال للحسن: أوصيك أى بنى بتقوى الله ، وإقام الصلاة

لوقتها ، وإيتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور ، وأوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم عن الجاهل ، والتفقه فى الدين ، والتثبت فى الأمر ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجتناب الفواحش.

ثم لم يزل يذكر الله حتى مات رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



قلب يحب الله

يقول أبو حامد رحمه الله :

لما حضر معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الوفاة **قال**: اللهم إني قد كنت أخافك وإني اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار وغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعاً لم ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم **قال** :

رب ما أخنقني خنقك فوعزتك أنك تعلم أن قلبي يحبك.

ثم مات عليه رحمة الله.



غداً نلقى الأحبة

سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه ، كان من الأوائل في كل شئ . نشأ بينه وبين سيدنا محمد ﷺ علاقة خاصة جداً ، وكذلك **بينه وبين الصديق** ، وكان سيدنا عمر رضي الله عنه حينما يرى سيدنا بلال رضي الله عنه أو يسمع ذكره يقول : هو سيدنا وأعتقه سيدنا ، أى أن سيدنا بلال سيده ، وقد أعتقه وجعله حراً سيدنا الصديق رضي الله عنه .

فى هذه الفترة يا أحباب لا أستطيع أن أذكر لكم كيف أثر الإسلام فى هؤلاء العمالقة ؟! كيف تحولوا إلى نجوم فى سماء الهدى ؟! كيف صاروا روحاً واحدة بأجساد متفرقة ؟! ولكنى استطيع أن أقول لكم هو الإسلام ... نعم هو الإسلام جمع بينهم وألف قلوبهم ... حتى صاروا إلى ما صاروا إليه ... وأنى لأرجو من الله أن تنتوحد مثلهم تحت راية الإسلام فنترابط برابطته ، ويحب المرء منا أخاه لا يحبه إلا لله وفى الله وبالله اللهم آمين.

وحتى لا أطيل عليكم ، فهذه كانت مقدمة بسيطة لنتفهم معانى القصة التى سأذكرها.

توفى رسول الله ﷺ فأثر ذلك فى بلال رضي الله عنه تأثيراً عظيماً

ولكنه استعان بالله وصبر ، ولازم الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وعندما مات الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قهر الحزن قلب سيدنا بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصبح يرى الألم فى صدره وقلبه ، فطلب من سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخروج لأرض الشام من أجل الجهاد ، فرفض سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولكنه ألح فى طلبه ، فوافق الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فخرج سيدنا بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الشام واستقر هو وزوجته.

وفى يوم من الأيام رحل الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الشام ونزل قريباً من دار بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وعندما حانت الصلاة ذهب الفاروق ليستعد لها فى المسجد ، فوجد سيدنا بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فطلب منه أن يؤذن كما كان يؤذن فى عهد الحبيب محمد ﷺ ، وكان سيدنا بلال قد امتنع عن الآذان بعد وفاة الحبيب محمد ﷺ ، لذلك رفض فى أول الأمر ، ولكن سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ألح فى طلبه ، حتى وافق سيدنا بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وعندما صعد للآذان **قال : الله اكبر الله اكبر ، الله اكبر الله اكبر ... أشهد أن لا إله إلا الله ... أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن محمدا رسول الله ... وهنا ذرفت دموع بلال** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واختنق وتذكر الحبيب المصطفى ﷺ فلم يستطع الإكمال ، وامتلأ المسجد بالبكاء وكأن بين أيديهم ميت عزيز عليهم فراقه ، وعلى صوت البكاء.

آه ... **ثم آه** ... من هذه القلوب المخلصة التى نفقدها فى عصر قد تعفن ، عفن المدنية الزائفة وحب الدنيا إلا عند من رحم ربى .

ظل هذا البكاء فترة طويلة حتى تمالك بلال رضي الله عنه نفسه والتقط زنفاسه وعاد إلى الآذان بصوت يعلوه الحزن والألم ، ثم أقيمت الصلاة ، فصلوا ، وذهب بلال رضي الله عنه إلى منزله ومرض مرضاً شديداً وهو مرض الموت .

أرأيتم يا أحباب مدى الحب الذى كان بين هؤلاء الصادقين الأطهار الكرام البررة .

ظل سيدنا بلال مريضاً ، وعندما أقبل على الموت ..

ـ قلت امرأته : واحزناه .

فقال بلال رضي الله عنه :

(بل واطرباه غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه)

الله ... الله ... الله ... الله ... لو عاد الإخلاص إلى قلوبنا والحب وترابطنا كهؤلاء العمالقة الذين حكموا العالم بالإسلام ... والعبرة لمن يفهم فيعمل .

موت الصالحين

كلنا بالطبع يعلم من هو الإمام ابن حنبل ، ولكن تعالوا بنا لنقرأ عن وفاة هذا الصالح ولا نزكى أحداً على الله ، ولكن شهد له أهل الإسلام بذلك ، فنحن نشهد له ، وأتمنى أن نقرأ هذه القصة بتمعن شديد ، لنرى كيف يحفظ الله لأهل الإصلاح صلاحهم ، ويكون ذلك حافزاً على مسارعتنا إلى طرق الصلاح الله آمين.

يقول العلامة ابن كثير عن وفاة الإمام أحمد ابن حنبل :

قال ابنه صالح : كان مرضه فى أول شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ودخلت عليه يوم الأربعاء ثانى ربيع لأول وهو محموم يتنفس الصعداء وهو ضعيف ، فقلت : يا أبت ما كان غداؤك ؟

فقال : ماء الباقلا ، ثم إن صالحا ذكر كثرة مجئ الناس من الأكابر وعموم الناس لعيادته وكثرة حرج الناس عليه ، وكان معه خريقة فيها قطيعات ينفق على نفسه منها ، وقد أمر ولده عبد الله أن يطالب سكان ملكه وأن يكفر عنه كفارة يمين ، فأخذ شيئاً من الأجرة فاشترى تمراً وكفر عن أبيه ، وفضل من ذلك ثلاثة دراهم ،

وكتب الإمام أحمد ابن حنبل وصيته : ، هذا ما أوصى به أحمد ابن محمد ابن حنبل ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بابهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأوصى من اطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله فى العابدين وأن يحمدوه فى الحامدين ، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين ، وأوصى أنى قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وأوصى بعبد الله ابن محمد المعروف ببوران على نحواً من خمسين ديناراً وهو مصدق فيها ماله على من غلة الدار إن شاء الله و فإذا استوفى أعطى ولد صالح كل ذكر وإثنى عشرة دراهم.

ثم استدعى بالصبيان من ورثته فجعل يدعو لهم ، وكان قد ولد له صبى قبل موته بخمسين يوماً فسماه سعيداً ، وكان له ولد آخر اسمه محمد قد مشى حين مرض ، فدعاه فالتزمه وقبله ثم قال : ما كنت أصنع بالولد على كبر سن ؟

فقيل له: ذرية تكون من بعدك يدعون لك.

قال: وذاك إن حصل ، وجعل يحمد الله تعالى.

وقد بلغه فى مرضه عن طاوس أنه كان يكره أنين المريض فترك الأنين فلم يئن حتى كانت الليلة التى توفى فى صبيحتها أنّ ،

وكانت ليلة الجمعة الثانى عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، فإن حين اشتد به الوجع ، وقد روى عن ابنه عبد الله ويروى عن صالح أيضاً أنه قال : حين احتضر أبى جعل أن يقول : لا بعد ، لا بعد .

فقلت : يا أبه ما هذه اللفظة التى تلهج بها فى هذه الساعة ؟!

فقال : يا بنى إن إبليس واقف فى زاوية البيت وهو عاض على إصبعه **وهو يقول** : فتنى يا أحمد ؟

فأقول : لا بعد ، لا بعد - يعنى لا يفوته حتى تخرج نفسه من جسده على التوحيد كما جاء فى بعض الأحاديث .

قال إبليس : يارب وعزتك وجلالك مـأزال أغويهم مادامت أرواحهم فى أجسادهم .

فقال الله : وعزتى وجلالى ولا أزال أغفر لهم ما استغفرونى .

وأحسن ما كان من أمره أنه أشار إلى أهله أن يوضؤه ، فجعلوا يوضؤنه وه يشير إليهم أن خللوا أصابعى وه يذكر الله عز وجل فى جميع ذلك ، فلما وضؤه توفى رحمه

الله ورضى عنه .

وقد كانت وفاته يوم الجمعة حين مضى منه نحو من ساعتين ، فاجتمع الناس فى الشوارع ، وبعث محمد بن طاهر حاجبه ومعه غلمان ومعهم مناديل فيها أكفان ، وأرسل يقول : هذا نيابة عن الخليفة ، فإنه لو كان حاضراً لبعث بهذا ،

فأرسل أولاده **يقولون** : إن أمير المؤمنين كان قد أعفاه فى حياته مما يكره ، وأبوا (رفضوا) أن يكفنوه بتلك الأكفان ، وأتى بثوب كان قد غزلته جاريته فكفنوه واشتروا معه عوز لفافة وحنوطاً واشتروا له راوية ماء وامتنعوا أن يغسلوه بماء بيوتهم ، لأنه كان قد هجر بيوتهم فلا يأكل منها ولا يستعير من أمتعتهم شيئاً ، وكان لا يزال متغضباً عليهم لأنهم كانوا يتناولون ما رتب لهم على بيت المال ، وهو فى كل شهر أربعة ألاف درهم ، وكان لهم عيال كثيرة وهم فقراء .

وحضر غسله نحو مائة من بيت الخلافة من بنى هاشم ، فجعلوا يقبلون بين عينيه ويدعو لهويترحمون عليه رحمه الله ،

وخرج الناس بنعشه والخلائق من حوله من الرجال والنساء مالم يعلم عددهم إلا الله ، ونائب البلد محمد عبد الله بن طاهر واقف فى جملة الناس ، ثم تقدم فعزى أولاد الإمام أحمد فيه ، وكان هو الذى أم الناس فى الصلاة عليه ، وقد أعاد الجماعة عليه عند القبر وعلى القبر بعد أن دفن من أجل ذلك ، ولم يستقر فى قبره رحمه الله إلا بعد صلاة العصر ، وذلك لكثرة الخلق.

وقد روى البيهقى وغير واحد أن الأمير محمد ابن طاهر أمر بحزر الناس فوجدوا ألف ألف وثلاثمائة ألف ، وفى رواية وسبعمائة ألف ، سوى من كان فى السفن ،

وقال ابن أبى حاتم : سمعت أبا زرعة **يقول** : بلغنى أن المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذى وقف الناس فيه حيث صلوا على الإمام أحمد ابن حنبل ، فبلغ مقاسه ألفى ألفى وخمسمائة ألف.

قال البيهقى عن الحاكم: سمعت أبا بكر أحمد بن كامل

القاضى **يقول** : سمعت ابن يحيى الزنجانى سمعت عبد الوهاب الوراق **يقول** : ما بلغنا أن جمعنا فى الجاهلية ولا فى الإسلام اجتمعوا فى جنازة أكثر من الجمع الذى اجتمع على جنازة ابن حنبل .

فقال عبد الرحمن بن ابى حاتم : سمعت أبى يقول : حدثنى محمد بن العباس المكى سمعت الوركانى – جار ابن حنبل – **قال** : أسلم يوم مات أحمد عشرون ألف من اليهود والنصارى والمجوس ، وفى بعض النسخ أسلم عشرة زلاف بدل عشرين زلفاً والله أعلم.

رحم الله هذا العملاق ، صاحب العلم ، المحافظ على دينه وهدانا للعمل مثله اللهم آمين.

دينـار .... قتيـل النـار

وحكى أن رجلاً كان يعرف بدينار العيار ، وكان له والدة صالحة تعظه وهو لا يتعظ ، فمر في بعض الأيام بمقبرة فأخذ منها عظماً فتت في يده ففكر في نفسه وقال : ويحك يا دينار كأني بك وقد صار عظمك هكذا رفاتاً والجسم تراباً !!

فندم على تفريطه وعزم على التوبة ورفع رأسه إلى السماء **وقال** : إلهي وسيدي ألقيت إليك مقاليد أمري فاقبلني وارحمني .

ثم أقبل نحو أمه متغير اللون منكسر القلب فقال : يا أماه ما يصنع بالعبد الآبق إذا أخذه سيده ؟!

قالت : يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يديه وقدميه .

فقال : أريد جبة من صوف وأقراصاً من شعير وغلين وافعلي بي كما يفعل بالعبد الأبق لعل مولاي يرى ذلي فيرحمني .

ففعلت به ما أراد .

فكان إذا جن عليه الليل أخذ فى البكاء والعويل ويقول لنفسه : ويحك يا دينار ألك قوة على النار ؟ كيف تعرضت لغضب الجبار ولا يزال كذلك إلى الصباح .

فقالت له أمه : يا بنى ارفق بنفسك .

فقال : دعينى أتعب قليلاً لعلى أستريح طويلاً يا أماه ، إن لى غداً موقفاً طويلاً بين يدى رب جليل ولا أدرى أيؤمر بى إلى ظل ظليل أو إلى شر مقيل .

قالت : يا بنى خذ لنفسك راحة .

قال : لست للراحة أطلب ، كأنك يا أماه بالخلائق يساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار مع أهلها ، فتركته وما هو عليه فأخذ فى البكاء والعبادة وقراءة القرآن .

فقرأ فى بعض الليالى : ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)** ﴾ [الحجر] .

ففكر فيها وجعل يبكى حتى غشى عليه فجاءت أمه إليه فنادته فلم يجيبها .

فقالت له: يا حبيبى وقرة عينى أين الملتقى ؟

فقال بصوت ضعيف: يا أماه إن لم تجدينى فى عرصات القيامة فسألى مالكا خازن النار عنى ثم شهق شهقة فمات رحمه الله.

فغسلته أمه وجهزته وخرجت تنادى : أيها الناس ... هلموا إلى الصلاة ... على قتيل النار ...

فجاء الناس من كل جانب فلم ير أكثر جمعاً ولا أغزر دمعاً من ذلك اليوم.

فلما دفنوه نام بعض أصدقائه تلك الليلة فرآه يتبختر فى الجنة وعليه حلة خضراء وهو يقرأ الآية :

﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)** ﴾ [الحجر].

ويقول: وعزته وجلاله سألنى ورحمنى وغفر لى وتجاوز عنى ألا أخبروا عنى والدتى بذلك.



الخائف من الله

المؤإمن دائماً يرى فى عمله قلة ، ويحاول جمع الحسنات حتى يرقى وينعم ، تعالوا بنا لنرى مثالاً على ذلك ، ونرى كيف حظى بحسن الخاتمة.

المثال هو : مسعر ابن كرام ابن ظهير .

يقول عنه سفيان ابن عيينه: ما لقيت أحداً أفضله على مسعر.

وقال سفيان الثورى: لم يكن فى زماننا مثله.

وعن محمد ابن مسعر **قال:** كان أبى لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن ، فإذا فرغ من ورده لف ردائه ، ثم هجع هجعة خفيفة ، ثم يثبت كالرجل الذى قد ضل منه شئ فهو يطلبه ، فإنما هو السواك والطهور ، ثم يستقبل المحراب كذلك إلى الفجر ، وكان يجهد على إخفاء ذلك جداً.

وعن أبى أسامة قال: سمعت مسعراً يقول : اشتهى أن أسمع صوت باكية حزينة.

وعن محمد بن كناسة قال : سمعت مسعراً **يقول :** من

أهمته نفسه تبين ذلك عليه .

وعن سفيان قال: قال رجل لمسعر : أتحب أن يخبرك الرجل بعيوبك ؟

قال: إن كان ناصحاً فنعم ، وإن كان يريد أن يؤنبني فلا .

وعن عبد الرحمن بن صالح يقول: قال مسعر ابن كرام :

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها   من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء من مغبتها   لا خير فى لذة من بعدها النار

وعن الفيض بن الفضل العجلى **قال**: حدثنى جارٌ لمسعر **قال** : بكى مسعر فبكت أمه ، **فقال** لها مسعر : ما أبكاك يا أماه ؟

فقالت: يا بنى رأيتك تبكى فبكيت .

فقال: يا أماه لمثل ما نهاجم عليه غداً فلنطل البكاء .

قالت: وما ذاك ؟!

فانتحب **فقال**: القيامة وما فيها ، **قال** : ثم غلبه البكاء فقام .

قال: وكان مسعر يقول : لولا أمى لما فارقت المسجد إلا لما بدا منه ، وكان إذا دخل بكى ، وإن خرج بكى ، وإن صلى بكى ، وإن جلس بكى .

- **وعن حسين بن يحيى ، عن أبيه قال** : لما حضرت مسعراً الوفاة دخل عليه سفيان الثورى ، فوجده جزعاً **فقال له** : تجزع ؟! فوالله لوددت أنى مت الساعة !

فقال مسعر : أقعدونى ، فأعاد الثورى الكلام عليه .

فقال : إنك إذاً لواثق بعملك يا سفيان ، لكنى والله على شاهقة جبل لا أدرى أين أهبط .

فبكى سفيان **وقال** : أنت أخوف لله منى .

ثم مات رحمه الله ، طامعاً فى رحمة ربه لا فى عمله .

وهكذا يموت المؤمن الحق (طامعاً فى رحمة ربه) .



لمثل هذا

هذه هى آخر قصة فى كتابنا لمتواضع ، ورأيت أن تكون آخر قصة لما فيها من نفع جليل ، وأرجو من لله أن تقرأوها بتمعن شديد جداً ، وتفهموا ما فيها ، ثم تعملوا به نعم .... لمثل هذا.

عبد الله ابن المبارك ، رجل صالح ، شهد له أهل زمانه .

قال سفيان ابن عيينة : نظرت فى أمره وأمر الصحابة فما رأيتهم يفضلون عليه إلا فى صحبتهم رسول الله ﷺ .

ـ **وقال إسماعيل بن عياش** : ما على وجه الأرض مثله ، وما أعلم خصلة من الخير إلا وقد جعلها الله فى ابن المبارك ، ولقد حدثنى أصحابى أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص (نوع من الحلوى) وهو الدهر صائم.

وقدم مرة الرقة وبه هارون الرشيد ، فلما دخل احتفل الناس به وازدحم الناس حوله ،فأشرفت أم ولد للرشيد من قصر هناك **فقالت** : ما للناس ؟!

فقيل لها: قدم رجل من علماء خراسان يقال له عبد الله بن مبارك فاجتمع الناس إليه.

فقالت المرأة: هذا هو الملك، لا ملك هارون الرشيد الذى يجمع الناس عليه بالسوط والعصا والرغبة والرهبة.

- وخرج مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على مزبلة هناك، وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته ثم أسرعت به إلى الدار، فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة.

فقالت: أنا وأخى هنا ليس لنا شئ إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونا له مال فظلم، وأخذ ماله وقتل.

فأمر ابن المبارك برد الأحمال **وقال لوكيله**: كم معك من النفقة ؟

قال: ألف دينار.

فقال: عد منها عشرين ديناراً تكفينا إلى مرو، واعطها

الباقى ، فهذا أفضل من حججنا فى هذا العام ، ثم رجع.

ـ أرأيتم يا أحبابى كم بلغ جود وإحسان هذا العملاق والآن تعالوا بنا لنرى حسن خاتمته.

عندما حضر الموت عبد الله بن المبارك ، فتح عينه ثم قال :

﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ .

ثم مات رحمه الله.



خاتمـــة

بعد أن أنعم المولى عز وجل عليّ بإتمام هذا الكتاب ، أرجو من الله أن نقرأه بتمعن شديد ، وأن نفهم معنى كل كلمة ، ونحاول العمل واللحاق بهؤلاء الذين سعدوا وفازوا بحسن الخاتمة ، ونرجو جميعاً من الله ... أن يكتب لنا الفوز بالجنة ... والنجاة من النار ... اللهم آمين.

يا واحداً صمداً بغيـــر قريـــن ... ارحم ضـراعة عبـدك المسكـــين
واعطف على إذا وقفت مروعاً ... حيران بين يديـك يــوم الديــــن
يا حسرتى بين العباد إذ همـوا ... خافوا الحساب فخف عنهم دونـــى
ما حيلتى عند الحساب وهولـه ... إذا قصرت بى قوتـــى ويقينــــى
ما حيلتى فى نشـــر صحيفتى ... إذا قيـل لى خذهـــا بغير يميـــن
لا حيلة عنـــدى ولا موئـــــل ... إن خاننى طمعى وحســن ظنـونى
يارب لا تترك عبدك هالكـــاً ... وارحم بفضلك عبرتـى وشئونــــى

فاللهم إنا نسألك النجاة .... والرحـمة .... والفـوز بالدارين الدنيا والآخرة اللهم آمين آمين

الراجي عفو ربه عن زلاته

محمد عبده مغاوري

الفهـــرس